رسالة من افريقية

[جنود الإستعمار يتساقطون في كل مكان، وهذا واحد منهم، يكتب من إفريقية رسالة إلى فتاته. ألقاها الشاعر في ندوة رابطة موظفي الحكومة مساء ٩/ أكتوبر / تشرين أول / ١٩٥٨].

الغابةُ السمراءُ من حولي يغلِّفُها الضبابُ
تَهَبُ السيادةَ للقويِّ ومَنْ له ظِفرٌ ونابُ
وأنا وراءَ الغِيلِ[1] تطلبني الأسّنة والحرابُ
مترقبٌ للهولِ، يرعشُ في يدي هذا الكتابُ

فمنَ البقاعِ النائيهْ
خلفَ السهولِ الداميهْ
أزجي إليكِ الشوقَ دفاقاً وأبعثُ بالحنينْ
متمنياً أن يرجعَ الماضي الجميل. . . أتذكرين؟

* . * . * . * . *

كانتْ لنا دنيا تُجَمِّلها الوداعةُ والسكينهْ
الريفُ والمرعى النضيرُ وربوةُ الحبِّ الأمينهْ
وسرورُنا الوثّابُ في يومِ الذّهابِ إلى المدينهْ
والآنَ حيثُ خناجرُ الثوارِ تلمعُ بالضغينهْ

---

(١) الغيل الشجر الكثير الملتف.

أحيـا لتقتيـلِ الشيـوخ
فـي كـلِّ زاويـةٍ وكـوخ
ويداي تَغمسُ كلَّ يومٍ في دمِ المستضعفينْ
الثائرينَ على القيودِ وسطوةِ المتجبرينْ

* . * . * . * . *

ومع المساءِ تزلزلُ الأحراشَ دقاتُ الطبولْ
وترنُّ أنغامُ الدمارِ على الروابي والسهولْ
ومراجلُ الأحقاد تغلي في المراعي والحقولْ
وأمامَ حَشدِ الزاحفينَ تفرُّ أسرابُ الوعولْ

حتى إذا صرخَ . . النذيرْ
وَدَنْوا من السورِ الكبيرْ
جُنَّتْ بنادقُنا، وخاضوا نارَها متقحّمينْ
فإذا النصالُ من الشمالِ تلفُّنَا ومن اليمينْ

* . * . * . *

اليومَ كنتُ مع الجنودِ أسيرُ في المستعمرهْ
شاكي السلاحِ وكلُّ شبرٍ تحت رجلي مقبرهْ
فتدفقوا من جوف أكواخٍ هناك مبعثرهْ
طلعوا علينا في مناجِلهم وكانت مجزرهْ

دوّى بها صوتُ الرصاص
وتعذرتْ سُبُلُ الخلاص
وودتُ لو ظفروا بقائدي الشهم الأمينْ
ذاكَ الذي أَلِف التثاؤب خلفَ مكتبهِ الحصين

* . * . * . *

ورجعتُ محمومَ الفؤادِ وقد تأجلَ مصرعي

وذراعيَ الدامي تجلَّد ثم ناءَ[1] بمدفعي
وفقدتُ في الميدانِ صورتكِ التي كانت معي
وفقدتُ إحساساً جميلاً كانَ يملأ أضلُعي

أحسستُ أني صرتُ وُحشا
أوْ لا أقصِّــرُ عنـه بـطشـا
والفرقُ أن الذئبَ لا يُودي بذئبٍ في كمين
وأنا.. أنا الإنسانُ أقتلُ إخوتي في كل حين

* . * . * . * . *

ويسيلُ فيضُ الذكرياتِ إذا جلسنا للسمرْ
هذا يحدِّثُنا عن العُشاقِ في ضوءِ القمرْ
وسواهُ يسخرُ من أسى الدنيا وأطماعِ البشرْ
وأنا أحنُّ إلى ليالينا وما قبـلَ السفرْ

وتــدفـقِ الأمــلِ الحبـيـب
في نُضرةِ الوادي الخصيب
وتدورُ عيني تسألُ الأصحابَ في صمتٍ حزين
عن غايةٍ جئنا لندرِكها قساةً معتـدين

* . * . * . *

أوَ ليسَ يكفينا لكي نحيا نتاجُ المزرعهْ
حتى أُصبَّ على أخي سَوطَ العذابِ لأُخضعه
ويقضُّ حيناً مضجعي وأقضُّ حيناً مَضجعهْ
وأعيشُ مغترباً هنا بين الرماحِ المشرعهْ

يــأتي الــطعــامُ إلى فَمي
مُــراً تــلَوَّثَ بــالــدمِ

---

(١) ناء : سقط.

وأصوغُ منْ آلامِ قومٍ جنةً للمترفين
الحالمينَ، ثورةُ البركانِ تهدرُ منْ سنينْ

* . * . * . *

فإلى متى يستعذبونَ البغيَ في ليلِ الجراحْ
قولي لهم: لا تغمضوا الأبصارَ عن ضوءِ الصباح
لا توصدوا الآذانَ قد دوّت أناشيدُ الكفاحْ
لنْ نُسكتَ الصوتَ القويَّ بما لدينا من سلاح

وأنـا إذا عـادَ الـجـنـودْ
سـأعـودُ، أرجـو أن أعـودْ
ولـربما تـأتيك أنبـاءٌ عن المتمـردين
من يقرأون ويسمعونَ: «الموتَ للمستعمرينْ»

* . * . * . * . *